المحاضرة رقم (٤)

الأصول الأساس في تحليل (النصّ القرآنيّ)

(الأصل الثاني) القرآن نظمٌ خاصٌّ معجزٌ

يُبنى الكلام التام المفيد من الكلمات ؛ والنظم هو ما يقضي أن يوصف التأليف فيما بين معانيها بالكلام أو بغيره ؛ وإلا كان لغوًا لا معنى له . لذلك قال العلماء : ((إنّ النظم هو الجامع الذي يجمع شمل الألفاظ والسلك الذي ينظمها ، و يؤلّف بين معانيــها ، و يجعل بعضها بسبب من بعض)) .

و ذلك لأنه : نظم يلتزم قوانين النحو ؛ ليكون التركيب النحوي مطابقا للمعنى بحسب القصد الذي يريده المتكلم . لذلك قال عبد القاهر في الـ (النظم) : ((أنه ليس شيئًا غير توخِّي معاني النحو فيما بين الكلم ، وأنّك تُرتّب المعاني ، أولًا في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نُطقك))[١] .

لماذا : لأن الغرض من الكلام ؛ هو إظهار المعاني ، و المعاني تنتظم في النفس أولا ؛ و لذلك وجب : أن تنتظم الألفاظ في الكلام وفقًا لانتظام تلك المعاني في النفس ؛ وذلك بأن تتناسق دلالاتها على نسق خاصّ قادر على إظهار تلك المعاني . هذا هو الإطار العام لنظرية النظم .

فالـ (النظم) : ((عمل قصدي)) . و تتجلى القصدية في الآتي :-

(أ) أنَّ التأليف ؛ هو : إسناد فعل إلى اسم، أو اسم إلى اسم ؛ شيء يحصل بقصد المُتكلم .

- تقول : (ضربَ زيدٌ خالدًا) .
- تقول : (السماء صافية) .
- تقول : (الوطنُ عزيزٌ) .

(ب) إن عدم توخي معاني النحو لا يولّد كلامًا تاما (= سبق شرح : أنّ الكلم المفردة لا تكون كلامًا تاما من غير علاقات تركيبية) .

(ج) إن التزام قوانين النحو يكوّن دلالات تنشأ من اختلاف طرائق صوغ التركيبات (= الفروق في صور التركيبات ؛ ينتج عنها دلالات جديدة) . كيف ؟

أمثلة :

- أكرمتكَ و زيدٌ ⟺ أكرمتُكَ و زيدًا

(١) دلائل الإعجاز : ٤٥٤ .

- هذا غلامًا أحسنُ منه رجلًا 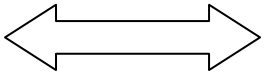 هذا غلامٌ أحسن منه رجلٌ

- كرمَ خالدٌ أبًا 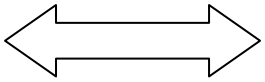 كرمَ أبو خالد

ت	الجملة	المعنى
١	أكرمَ الناسُ سلمانَ	
٢	أكرمَ الناسَ سلمانُ	
٣	أكرمُ الناسِ سلمانُ	
٤	أكرمِ الناسَ سلمانُ	

الخلاصة : ((كل صورة تركيبية (جملة) لها معنى خاص))

(أ) هذا المعنى الخاص يكون بحسب قصد المتكلم =
(ب) إذا ما تغير التركيب = فلا بدَّ من أن يتغيّر المعنى (= أي تغيير يطرأ على الصورة التركيبية (أي على الجملة) ؛ فلا بدّ أن يترتب عليه اختلاف المعنى) .

و لأن (إعجاز القرآن) : إنما هو في : (نظمه الخاص المعجز) ؛ فهذا يعني أن نظمه الخاص دليل على معنى خاص .

سؤال : ما أهمية تحديد : (أن القرآن الكريم = نظم خاص معجز) ؛ في مادة : (تحليل النص القرآني) ؟

تتجلى أهمية ؛ الأصل الثاني : (أن القرآن نظم خاص معجز) في تحليل النص القرآني ؛ في أن اكتشاف طبيعة النظم القرآني الخاص تقود إلى اكتشاف المعنى القرآني الخاص . فكل تركيب قرآني ؛ هو : قصد إلى معنى خاص .